للحكاية نبض آخر

دقات قلبٍ خافتة من أسفل الوسادة ، وحلم فتاة أنها عالقةٌ داخل أمواجٍ ملونة ،و بين أسماكٍ ناطقة.

تينا جيسوس ،فتاة أفريقية ،ولدت في ١٩٨٦،سمراءٌ في تقاطيعها دقة ،وفي ملامحها رقة، وفي عينيها الكحيلة سحرٌ طاغي.

انتقلت تينا إلى شيكاغو مع عائلتها بسبب ظروفهم المادية وذلك في كانون الأول عام ٢٠٠٢ كانت تينا في السّادسة عشر من عمرها ، ولكن المشكل سفرهم في زمن التمييز العنصري بين الأبيض والأسود في أميركا.

عانت تينا في أكاديمية شاين في شيكاغو ففي يومها الأول مشت متشائمة ،مدركةً لعدم تقبل أحدٍ لها. رن الجرس ورنّت معه أفكار تينا" ماذا الآن ،لا يمكنني التخفي فوجهي فحميّ اللون وتقاطيعي تشبه الليل، وأسناني بيضاء ثلجية "

صعدت تينا إلى صفّها وهي ترى الجميع يشع نوراً ، هذه تختال بشعرها الأشقر المنسدل على كتفيها ، وتلك بوجنتيها الطفولية ، فيما هم ينظرون إلى بشرتها ويتهامسون بنظرات غريبة، بدت ملامحهم تضج بالمشاكسة فلم تتوقع منهم إلا سياطًا من التنمر وهذا ما حدث.

هلَّ شهر آذار شهر عيد الأم حيث كان صفها يتدرب على رقصة العيد في المسرح ،فانبهرت الأخيرة بالمكان ،وما كان منها إلا بانت عن أسنان بيضاء وسط دياجي الليل، ما أثار سخريتهم على لونها ومشيتها قائلين:" حركاتكِ البهلوانية تلك ستدمر علينا رقصتنا"،"انزلي عن خشبة المسرح ،فوجهكِ الفاحم لا يتناسق مع وجنتينا" .

أحرجت الكلمات تينا فذهبت مهرولة إلى الحمام وأخذت تمسح بشرتها السمراء وتصرخ قائلة :" أنتِ أصل البلاء ".

في اليوم التالي ،دخلت قاعة الطعام في المدرسة، لكن العاملة عاملتها بجفاء ،وقدمت إليها معكرونة جافة ، ثم رمت عليها الصحن قائلة :" أنتِ لا تحتاجين إلى ممسحة فشعركِ مكنسة حضارية" ، فيما تينا لا تجيب إلا بسيل من الدموع قائلة لروحها " حبذا لو تنصفني الحياة".

واستمرت المأساة فقدم يوم عيد الأم حيث ظهرت تينا بفستانها المرصع دون أن تعلم أن البهاق قد كسا جسدها، ولم تنفعها مساحيق التجميل في إخفاء ذلك فأخذت تصرخ، فيما ضج المسرح بالضحك، ما أزعج الأم، فتركت الحفلة، وهرولت وراء ابنتها.

تمددت تينا على العشب الأخضر الذي كان أرحم عليها من الناس ، وأخذت تمرغ وجهها بالتراب قائلة لنفسها: " لمَ أنا قبيحة إلى هذا الحد ولا يقبلني أحد ؟ " وما أن بلغت أمها المكان حتى نظرت إليها بحزم وحنان قائلة: احملي هذا الكوب، ثم أردفت: " انظري يا ابنتي كلما حملتِ هذا الكوب لوقت طويل

ستتعب يداكِ وأفكارك .لذا تعلمي أن تضعي الأفكار السلبية جانباً ،وعيشي بسعادة لأننا جميعنا نستحقها ،والكوب هنا يا ابنتي أوهامكِ وأفكاركِ التي تدفعكِ نحو النكوص فالجوهر فيكِ يا روحي وحسب"

مسحت تينا دموعها صعدت المسرح وقالت: "اسمي تينا ،أنا افريقية سوداء عشت حياة التنمر فأصبت بمرض البهاق، لكني أشكر كل من ساعدني فقد تعلمت ، ليس العالم من يحدد مصيري،بل أنا من سأكتب عنوان قصتي وسأختمه،بأن لا داعي للعناء لأجل تافهين تربوا على المذلة وانعدام الضمير،فنحن من نصنع مستقبلنا وننزع أشواك طريقنا ،وأنت يا سمراء،لروحك الداكنة نداء ، فلتلبيه ."

تينا اليوم ،أصبحت مديرة أعمال شهيرة علّمت الجميع درساً أن لا يسمعوا لتنمر النّاس، فيما ساهمت قصتها في سن قانون يمنع التمييز العنصري ضد المختلفين لونًا وعرقًا .